نوميديا DZ

ملحق ثقافي أسبوعي

حماية التراث حفاظ على الذات

الخميس 29 جانفي 2026 الموافق لـ 10 شعبان 1447العدد 3191 / العدد: 04

من قصور السلاطين إلى اليونسكو

القفطان الجزائري وسردية الانتماء للتاريخ

أدب و تأليف

أحاسيس

الجزء الثاني

خذلان وسرطان..

بولا تكرّس دعمها للمشهد الثقافي

كتاب «19» يصنع الحدث في معرض القاهرة الدولي

قفطان القاضي بقسنطينة

أناقة سلطانية تختصر قرونًا من الذاكرة والهوية

الهوية تحت الخيوط الذهبية

القفطان الجزائري في مواجهة السطو الثقافي

جريدة بولا فاعل إعلامي و ثقافي مهم..

كما تحمل هذه المشاركة دلالة خاصة، كونها تأتي برعاية جريدة بولا الرياضية، في خطوة تعكس وعي المؤسسة الإعلامية بدورها الثقافي، وإيمانها بضرورة دعم المبادرات الإبداعية لمحرريها، وتكريس صورة الصحفي الرياضي كفاعل ثقافي قادر على الإنتاج خارج حدود الملاعب والنتائج.

إعـــــلان:

لمن يريد أن تنشر أعماله على هذه الصفحة، قصة قصيرة أو شعر، أو له مؤلف يريد التعريف به، يرجى ارسال العمل على الإيمايل التالي: algerienpatrimoine@gmail.com

إعداد: مصطفى خليفاوي

من قصور السلاطين إلى اليونسكو

القفطان الجزائري وسردية الانتماء للتاريخ

خيوطٍ من ذهب، وعلى قماشٍ يحفظ ذاكرة القرون، ينهض القفطان الجزائري كأحد أبهى رموز التراث الوطني، لا بوصفه لباسًا احتفاليًا فحسب، بل باعتباره وثيقة حضارية، وسجلًا بصريًا لتاريخ طويل من التراكم الثقافي، والتفاعل الحضاري، والخصوصية الفنية التي ميّزت الجزائر عبر العصور. ومع القرارات الأخيرة الصادرة عن منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)، عاد القفطان الجزائري إلى صدارة المشهد الدولي، ليس كموضوع جدل عابر، بل كتراث أصيل جرى تثبيته وتحصينه باعتراف أممي صريح، يعيد الأمور إلى نصابها، ويمنح الذاكرة الجماعية الجزائرية سندًا قانونيًا وتاريخيًا لا يقبل التأويل.

القفطان.. حين يصبح اللباس هوية

لم يكن القفطان في يوم من الأيام مجرد زيٍّ فاخر للزينة أو المباهاة، بل كان – ولا يزال – تعبيرًا عن الانتماء، ومؤشرًا على المكانة الاجتماعية، ومرآةً للتحولات السياسية والاقتصادية والفنية التي عرفها المجتمع الجزائري. فمن قصور السلاطين والأمراء، إلى بيوت العامة، ومن الاحتفالات السلطانية إلى الأعراس الشعبية، ظل القفطان شاهدًا صامتًا على تعاقب الدول، وتبدل الأزمنة، مع احتفاظه بروحه الأصيلة. في الجزائر، لم يولد القفطان كنسخة مستوردة أو طارئة، بل تشكّل داخل النسيج الحضاري المحلي، متأثرًا بما مرّ على البلاد من حضارات: أمازيغية، إسلامية، أندلسية، عثمانية، ومتوسطية، ليخرج في نهاية المطاف بملامح جزائرية خالصة، لا تخطئها العين ولا يلتبس أصلها على الباحثين.

قرار اليونسكو.. انتصار للذاكرة والدبلوماسية الثقافية

جاءت الدورة العشرون للجنة الحكومية الدولية لصون التراث الثقافي اللامادي، المنعقدة بنيودلهي بين 8 و13 ديسمبر 2025، لتشكل محطة مفصلية في مسار القفطان الجزائري. فبقرار جلي وصريح، أقرت اللجنة أسبقية الجزائر في تسجيل القفطان كمكون أساسي من تراثها الثقافي الغني، وفق ما أكدته بيانات رسمية صادرة عن وزارة الشؤون الخارجية ووزارة الثقافة والفنون. ولم يقتصر الأمر على التأكيد الرمزي، بل تُوّج بسلسلة قرارات إجرائية بالغة الدلالة، أبرزها: تعديل اسم العنصر المسجّل سنة 2024 في القائمة التمثيلية للتراث الثقافي اللامادي للبشرية، ليحمل تسمية واضحة وصريحة: «الزي النسائي الاحتفالي في الشرق الكبير الجزائري: المعارف والمهارات المرتبطة بخياطة وتزيين القندورة، الملحفة، القفطان، القاط واللحاف». تحديث ملف 2012 الخاص بالزي الزفافي التلمساني، بإضافة عبارة «لبسة القفطان»، وتثبيت ترجمتها باللغتين الفرنسية (Le port du Caftan) والإنجليزية (The wearing of Kaftan). هذه التعديلات، التي صودق عليها بالإجماع، لم تكن مجرد تصحيح شكلي، بل حملت رسالة سياسية وثقافية واضحة: القفطان الجزائري عنصر جوهري في التراث الوطني، معترف به دوليًا منذ أكثر من عقد، ومحمي من أي محاولة للتشويه أو التملك أو إعادة النسبة.

من تلمسان إلى الشرق الكبير.. جغرافيا القفطان

يمتد القفطان الجزائري عبر رقعة جغرافية واسعة، تعكس تنوع البلاد وغناها الثقافي. ففي تلمسان، يتجلى القفطان في أبهى صوره من خلال الشدة التلمسانية أو لبسة القرفطان، ذلك الزي العرائسي الفاخر الذي يجمع بين القفطان، والحلي الثقيلة، وأغطية الرأس المهيبة، ليشكل لوحة متكاملة من الجمال والرمزية. أما في الشرق الجزائري الكبير، فيبرز القفطان كجزء من منظومة احتفالية أوسع، تضم القندورة، الملحفة، القاط، واللحاف، حيث تتداخل التأثيرات الأندلسية مع الذوق المحلي، وتغلب الألوان الزاهية، والتطريزات الدقيقة، التي تعكس مهارة الحرفيات وثراء الخيال الشعبي. وفي العاصمة الجزائرية، يحتفظ القفطان بمكانة خاصة، خصوصًا قفطان القطيفة، المطرز بخيوط الذهب والفضة، والذي ارتبط تاريخيًا بنساء البلاط والطبقة الراقية. بينما في الجنوب الكبير، يتخفف القفطان من ثقل الزينة، ليكتسب طابعًا عمليًا، متأقلمًا مع المناخ الصحراوي، محافظًا في الآن ذاته على روحه الاحتفالية.

تطور تاريخي.. من لباس السلاطين إلى رفيق الأفراح

تكشف الدراسات الأكاديمية والمعارض المتخصصة، على غرار تلك التي احتضنها قصر الرياس ضمن المهرجان الوطني للألبسة التقليدية، أن القفطان الجزائري عرف تطورًا لافتًا عبر العصور. فقد ارتبط في بداياته بالسلطة والحكم، كما في: القفطان الرستمي، القفطان الزيري، القفطان الحمادي، القفطان الزياني، القفطان العثماني وقفطان الداي، ثم انتقل تدريجيًا إلى فضاء النخبة، قبل أن يستقر في الوجدان الشعبي كزيٍّ للاحتفالات الكبرى، وعلى رأسها الأعراس، حيث أصبح جزءًا لا يتجزأ من طقوس الفرح والعبور الاجتماعي.

فنون الطرز.. حين تتحول الخيوط إلى لغة

لا يمكن الحديث عن القفطان الجزائري دون التوقف عند فنون الطرز التقليدي، التي تشكل جوهر جماله وروحه. فالفتلة، العدس، المجبود، الكنتير، والتل، ليست مجرد تقنيات خياطة، بل لغات فنية متوارثة، تتطلب صبرًا، ودقة، وحسًا جماليًا رفيعًا. هذه الفنون، التي تعتمد أساسًا على خيوط الذهب والحرير، لا تزال حية بفضل حرفيات مبدعات، خصوصًا في ولايات الشرق الجزائري، على غرار عنابة، حيث تُنقل المهارات من جيل إلى جيل، في ورشات تكوينية تجمع بين الحفظ والتجديد.

الإكسسوارات والحلي.. اكتمال المشهد الاحتفالي

يكتمل القفطان الجزائري بمنظومة غنية من الإكسسوارات والحلي، التي تضفي عليه فخامة خاصة، من أغطية الرأس مثل: القطينة، الشاشية، العصابة، التقريفة واللفة، إلى الحلي الذهبية: السلطاني، السخاب، الشنتوف، الخلخال، الرعاشة، الخرص، والمقياس. هذه العناصر ليست تكميلية فحسب، بل تحمل دلالات اجتماعية وثقافية، تعكس المكانة، والانتماء، والهوية، وتحوّل العروس إلى رمز للجمال والبهاء في الذاكرة الجماعية.

القفطان اليوم.. بين الأصالة والحداثة

رغم ارتباطه العميق بالتقاليد، لم يبق القفطان الجزائري حبيس الماضي. فقد شهد في السنوات الأخيرة حركية لافتة، بفضل مصممين شباب أعادوا قراءته برؤية معاصرة، دون المساس بجوهره. فدخل منصات العرض، وشارك في تظاهرات وطنية ودولية، ولفت أنظار المهتمين بالموضة التراثية، بوصفه نموذجًا ناجحًا للتزاوج بين الأصالة والتجديد.

إرث محمي.. وواجب وطني

إن ما تحقق في اليونسكو خلال ديسمبر 2025، لا يمثل نهاية المسار، بل بداية مرحلة جديدة من الوعي والمسؤولية. فالقفطان الجزائري، الذي ثبتت أصالته تاريخيًا، واعترف به دوليًا، يبقى إرثًا يحتاج إلى صون، وتوثيق، ونقل أمين للأجيال القادمة. كما أكدت وزارة الثقافة والفنون: «القفطان الجزائري إرثنا، وحمايته واجب وطني.» وهو واجب لا يقتصر على المؤسسات الرسمية، بل يشمل الباحثين، والحرفيين، والمصممين، والإعلام، وكل من يؤمن بأن الهوية لا تُختزل في خطاب، بل تُحاك – خيطًا بخيط.

إعداد: مصطفى خليفاوي

القفطان الجزائري في مواجهة السطو الثقافي

في السنوات الأخيرة، لم يعد القفطان الجزائري مجرد لباس تقليدي يزيّن الأعراس والمناسبات الكبرى، بل تحوّل إلى قضية ثقافية وسيادية بامتياز، تتقاطع فيها الذاكرة بالتاريخ، والحرفي بالدبلوماسي، والجمالي بالسياسي. فقد تصاعدت، بشكل لافت، محاولات السطو والسطح والتملك التي استهدفت هذا الزي العريق، في سياق صراعات ناعمة حول الهوية، وإعادة كتابة التاريخ، وإعادة تسويق التراث خارج سياقه الأصلي. هذه المحاولات، التي لم تعد خافية على أحد، كشفت هشاشة الفهم العالمي للتراث اللامادي من جهة، وأبرزت من جهة أخرى أهمية المعركة التي تخوضها الجزائر دفاعًا عن موروثها الثقافي، ليس بالشعارات، بل بالوثائق، والملفات، والعمل الدبلوماسي المنهجي.

القفطان.. أكثر من لباس وأبعد من زينة

لفهم خلفيات السطو، لا بد أولًا من استيعاب قيمة القفطان الجزائري. فهو ليس قطعة قماش فاخرة فحسب، بل منتج تاريخي مركّب، تشكّل عبر قرون من التراكم الحضاري. حمل بصمات الدول التي تعاقبت على الجزائر: من الرستميين والزيريين والحماديين، إلى الزيانيين والعثمانيين، وانصهر في فضاء اجتماعي خاص، جعل منه لباسًا سلطانيًا ثم نخبويا، قبل أن يستقر في الوجدان الشعبي كزيٍّ احتفالي جامع. هذا العمق هو ما جعل القفطان قابلًا للاستهداف؛ فكلما كان التراث غنيًا ومشبعًا بالدلالات، ازداد إغراء نسبته أو إعادة تأويله خارج سياقه الأصلي.

السطو الثقافي.. حين يصبح التراث أداة تنازع

ما يحدث اليوم حول القفطان الجزائري يندرج ضمن ما يسميه الباحثون «السطو الثقافي» أو Cultural Appropriation، أي الاستحواذ على عنصر تراثي لشعب أو أمة، وإعادة تقديمه بوصفه نتاجًا لهوية أخرى، غالبًا دون الاعتراف بالأصل، أو عبر طمس السياق التاريخي الحقيقي. هذا النوع من السطو لا يتم بالضرورة بالقوة، بل عبر: الترويج الإعلامي الممنهج، إعادة التسمية، التسويق السياحي، تقديم ملفات ناقصة أو انتقائية للمنظمات الدولية، الخلط المتعمد بين الجغرافي والتاريخي. وفي حالة القفطان، اتخذت هذه المحاولات أشكالًا متعددة، من استعماله في عروض أزياء دون الإشارة إلى أصله الجزائري، إلى تقديمه كمنتج «مشترك» أو «عابر للحدود»، وصولًا إلى محاولات تسجيله أو توظيفه ضمن سرديات وطنية أخرى.

القفطان الجزائري في مرمى التزييف

تكمن خطورة السطو على القفطان الجزائري في كونه يستهدف جوهر الهوية النسوية التقليدية في الجزائر. فالقفطان ليس منفصلًا عن منظومة ثقافية أوسع تشمل: طقوس الزواج، الحلي التقليدية، فنون الطرز (الفتلة، المجبود، العدس، الكنتير، التل)، الأغطية التقليدية للرأس، التراتبية الاجتماعية والرمزية. وعندما يُنتزع القفطان من هذا السياق، ويُقدّم كقطعة «موضة» بلا ذاكرة، فإن ذلك لا يُفقر التراث فحسب، بل يشوّه معناه، ويفرغه من بعده الرمزي والتاريخي.

من الجدل الإعلامي إلى المواجهة الدبلوماسية

لم تكن الجزائر غافلة عن هذه المحاولات. فقد اختارت منذ سنوات مقاربة هادئة ولكن صارمة، تعتمد على: توثيق علمي دقيق، إشراك الباحثين والمؤرخين، دعم الحرفيين، إعداد ملفات متكاملة لليونسكو. وقد تُوّج هذا المسار باعترافات دولية متتالية، أبرزها تثبيت القفطان ضمن الملفات الجزائرية المسجلة لدى اليونسكو منذ 2012، ثم القرارات الصادرة في ديسمبر 2025، التي جاءت كرد عملي على كل محاولات التشويش والتأويل. فحين تُضيف منظمة دولية بحجم اليونسكو عبارات صريحة مثل «The wearing of Kaftan» و«Le port du Caftan» إلى ملف جزائري، وحين تُدرج القفطان بالاسم ضمن عنوان ملف وطني جديد، فإن الرسالة تكون واضحة: الأصل موثّق، والهوية مثبتة، والسطو مرفوض.

لماذا يُستهدف القفطان الجزائري تحديدًا؟

يُجمع الباحثون على أن استهداف القفطان الجزائري يعود لعدة أسباب: غناه الجمالي وقدرته على التسويق عالميًا. مرونته الشكلية التي تسمح بتوظيفه في عروض عصرية. ضعف الوعي العالمي بالتاريخ المغاربي المركّب. نجاحه في اختراق الفضاء الدولي مقارنة بغيره من الأزياء التقليدية. كونه عنصرًا نسويًا، ما يسهل تداوله بصريًا دون مساءلة تاريخية عميقة.

التراث اللامادي.. معركة وعي لا تقل أهمية عن الوثائق

رغم الانتصارات الدبلوماسية، تبقى المعركة الحقيقية معركة وعي. فحماية القفطان الجزائري لا تتوقف عند التسجيل في اليونسكو، بل تتطلب: إدماجه في المناهج التربوية، دعم البحث الأكاديمي حوله، توثيق أنواعه جهويا، حماية الحرفيات من الاندثار، تشجيع الإنتاج المحلي الأصيل لأن أخطر أشكال السطو ليست تلك التي تأتي من الخارج فقط، بل أيضًا الإهمال الداخلي الذي يترك التراث بلا حراس.

القفطان.. هوية لا تقبل القسمة

إن محاولات السطو على القفطان الجزائري، مهما تنوعت أساليبها، تصطدم بحقيقة ثابتة: التراث لا يُختزل في صورة، ولا يُنسب بالنية، ولا يُملك بالتسويق. فالقفطان الجزائري هو نتاج تاريخ، وذاكرة شعب، ومهارة نساء، وحرفيين صاغوا الجمال بالصبر والذهب. وهو اليوم، أكثر من أي وقت مضى، رمز لمعركة أوسع تخوضها الجزائر دفاعًا عن حقها في رواية تاريخها بنفسها، دون وصاية أو تحريف. وفي زمن تتزايد فيه حروب الذاكرة، يبقى القفطان شاهدًا على أن الهوية الأصيلة لا تُسرق، بل تُثبت وتُحمى

قفطان القاضي بقسنطينة

أناقة سلطانية تختصر قرونًا من الذاكرة والهوية

من لباس رجالي إلى رمز يجسد الأناقة النسائية، يعكس قفطان القاضي القسنطيني بتطريزاته الراقية وأقمشته النبيلة ومهاراته الحرفية ثقافة ضاربة في عمق التاريخ لتصبح اليوم إرثا معترف به على الصعيد الدولي. فالمدينة العتيقة المعلقة بين الجسور والصخور نجحت عبر قرون من الزمن في الحفاظ على هذا الزي التراثي الثري والنادر المتمثل في قفطان القاضي، تلك القطعة الرمزية التي تجاوزت مجرد كونها ثوبا أنيقا لتصبح جزءا من التاريخ الاجتماعي والثقافي للشرق الجزائري، على غرار حضوره البارز تاريخيا عبر مختلف جهات الوطن. وفي هذا الصدد، أوضحت مديرة المتحف العمومي الوطني للفنون والتعابير الثقافية التقليدية (قصر أحمد باي) بقسنطينة، مريم قبايلية، أن قفطان القاضي كان في الأصل لباسا رجاليا مرتبطا ارتباطا وثيقا بالسلطة والسلك القضائي، مشيرة إلى أن تسميته تعود إلى القاضي كشخصية مركزية في المجتمع وأن القفطان قديما كان يرمز للمكانة والوقار وتعكس أقمشته الفاخرة وخيوطه الذهبية أناقة وهيبة من يرتديه. من جانبها، أشارت رئيسة جمعية «رائدات الصخر العتيق»، عويش صفيناز، وهي حرفية مختصة في الأزياء التقليدية القسنطينية، الى أن القفطان كان يطرز للرجال بتقنية «المجبود»، بينما اعتمدت للنساء تقنية «الفتلة». وحسب مديرة المتحف العمومي الوطني للفنون والتعابير الثقافية والتقليدية، فإن تاريخ القفطان تدعمه وثائق أرشيفية رسمية تعود إلى القرن الـ17 الميلادي وتتضمن عقود زواج بسجلات المحاكم الشرعية وردت فيها صراحة عبارة «زي القفطان» ضمن قائمة الصداق ومؤخره وشروط الزواج. كما تشير المصادر التاريخية -حسب ذات المتحدثة- إلى وجود قطع منه محفوظة في متاحف دولية، على غرار متحف ستوكهولم (السويد) الذي يعرض قفطانا أهداه علي باشا لملك السويد سنة 1731 بمناسبة إبرام معاهدة السلام بين الجزائر والسويد في تلك الفترة. وحسب ذات المصدر، فقد تم عرض 12 قفطانا جزائريا آخر و3 قندورات و5 برانيس بكل من القصر الإمبراطوري هوفبورغ وقصر شومبرون بفيينا (النمسا) في الفترة ما بين 1868 و1872 اقتنت بعضها الإمبراطورة النمساوية إليزابيث المعروفة بـ«سيسي» من الجزائر وتلقت بعضها خلال زياراتها إلى الجزائر في 1872، بالإضافة إلى عرض خيوط من الذهب الخالص. كما تحتفظ بعض متاحف دمشق السورية بقفاطين تعود ملكيتها إلى لالة زينب، ابنة الأمير عبد القادر، وهو ما يعكس الامتداد التاريخي لهذا الزي الجزائري خارج الوطن. وأفادت مديرة ذات المتحف بأن صناعة قفطان القاضي بقسنطينة كانت تعتمد قديما على طريقة تقليدية فريدة، حيث يستعمل جلد الغنم بديلا عن «القرقاف» وهو إطار دائري (خشبي أو بلاستيكي) يتكون من حلقتين يثبت القماش بينهما بإحكام لتسهيل عملية التطريز ويتم تثبيت خيط الذهب الخالص بواسطة أسلوب تقليدي يعتمد على دم الطحال قبل تجفيفه بعناية. وأبرزت أن هذا الأسلوب الدقيق، المتوارث من جيل لآخر، منح القفطان جمالا وأناقة لامعة تعكس مكانته الرفيعة وحرفية الصناعة التقليدية القسنطينية. وكان هذا العمل المتقن مدعوما بخدمات «دار الدباغ» بقسنطينة التي تعد مهدا للجلود الرفيعة، حيث تحولت فيها كل قطعة جلد إلى عمل فني. ولا يزال القفطان يلبس في المناسبات والاحتفالات التقليدية والأعراس بصفته إرثا حيا وحاملا للذاكرة والهوية والأناقة تتوارثه الأجيال بقسنطينة ومناطق الشرق الجزائري الكبير، كما هو الحال لقفطان تلمسان وغيرها من مدن الغرب الجزائري، مما جعل هذا اللباس يرسخ كإرث ثقافي من طرف منظمة اليونسكو.

ملحق ثقافي أسبوعي

من إعداد: بركاش سعاد

الخميس 29 جانفي 2026 الموافق لـ 10 شعبان 1447 العدد 3191

أحاسيس

مجموعة قصصية من الواقع - تأليف: سعاد أحمد

خـــــذلان وســـــرطـــــان..

الجزء الثاني

«اكتشفت للتو أني مصابة بالسرطان..» فتحت الفتاة فاها.. كانت إجابة مباشرة بدون لف ولا دوران.. أعاد السائق بصره نحو الطريق وهو يقول: «لا إله إلا الله»، أما الفتاة فاسترسلت اسئلتها معقبة: «لم يأتي أحد معك؟؟ لديك أولاد؟؟» – «نعم لدي..» جواب المرأة واضح كالشمس التي غابت ذلك اليوم فاتحة المجال لغيوم كثيفة لونت الجو بالرمادي.. لكن الفتاة لم تستوعب جوابها فلم يبدو لها منطقيا البتة: «لديك زوج وأولاد وجئت اليوم ولوحدك ليخبرك الطبيب أنك مصابة بالسرطان و أنت لوحدك و الظاهر أنك لا تقطنين في هذه المدينة و سوف تسافرين لمدينة أخرى و أنت لوحدك..!!» و كأن ما أهم الفتاة ليس المرض بحد ذاته، بل وجدتها غريبة أن لا يصاحب هذه السيدة أحد من أهلها و هي تكاد تسمع أقسى خبر في حياتها.. إذ ليس من العدل أن تكون لوحدها.. ففي رأي الفتاة، الوحدة في هذا الموقف أقسى من المرض نفسه..

لم تكف السيدة عن البكاء.. نظرت اليها الفتاة بكل حنان و قد أخذت منها مقتلا في قلبها.. وكأنها أحست فجأة بمسؤولية عظيمة اتجاهها.. «ما الذي أستطيع أن أفعله لك أرجوك أي شيئ فقط قولي» – «لا شيئ..» جواب باهت

لكنه يفسر ما كان يحدث داخلها من صراع بين أحاسيس مختلفة كلها شديدة القسوة، كثير من الخذلان مع كميات من الحزن و انكسار مدمي للقلب.. ردت عليها بلا شيئ مع ابتسامة ساخرة كأنها تقول كيف بي أن أطلب منك أنت التي لا أعرفك خدمة و قد نبذتني أرواح خدمتها طيلة عمري بعيني هذه التي تبكي حرقة لا دموعا عن المرض ولكن دموعا عن الجفاء..

وصلا محطة المسافرين، نزلا من السيارة بعد أن دفعت الفتاة أجرتها مع أجرة السيدة.. تمشيا معا.. ثم حان الفراق لتذهب كل منهما في اتجاه.. سألتها الفتاة: «هل أوصلك؟؟ يمكنني أن أذهب معك لأوصلك للبيت ثم أعود لوجهتي..» رفعت السيدة وجهها إليها و كانت المرة الأولى التي تنظر إليها مباشرة في عينيها و قد كفت عن البكاء. ابتسمت هذه المرة ابتسامة رضى: «لا يا ابنتي.. لي الله يؤنسني.. أنا أحسن حالا الآن شكرا لك..» قالت ذلك وهي تضع يدها تربت على كتفها.. ثم انصرفت وهي تمشي مثقلة الخطى بين الجموع تحت المطر الذي بدأت تقل قطراته.. تمشي وحيدة بصحبة السرطان والكثير من الخذلان..

النهاية

بولا تكرّس دعمها للمشهد الثقافي

كتاب «19» يصنع الحدث في معرض القاهرة الدولي

في قلب معرض القاهرة الدولي للكتاب، حيث تتقاطع الثقافات وتُختبر التجارب الإبداعية، سجّل كتاب «19» للكاتب والصحفي خليفاوي مصطفى حضورًا لافتًا، تجاوز حدود التوقّع، وفرض نفسه كأحد العناوين التي صنعت الحدث في مشاركتها الأولى، مؤكّدًا أن التجارب الصادقة، حين تجد طريقها إلى القارئ، لا تحتاج إلى تاريخ طويل بقدر ما تحتاج إلى مضمون حقيقي ورؤية واضحة. و لم تكن مشاركة كتاب «19» في معرض القاهرة الدولي للكتاب مجرد تواجد عادي على رفوف دور النشر، بل شكّلت محطة مفصلية في مسار كاتب شاب، اختار أن يدخل أحد أكبر التظاهرات الثقافية في العالم العربي من الباب الواسع، مستندًا إلى نص يحمل روح التجربة، وصدق الاعتراف، وجرأة الطرح. ورغم أن هذه المشاركة تُعد الأولى للكاتب خليفاوي مصطفى في هذا المحفل الثقافي العربي الكبير، إلا أن الكتاب استطاع أن يفرض نفسه، ويجذب اهتمام الزوار والقراء من مختلف الجنسيات العربية، الذين وجدوا في صفحاته خطابًا قريبًا من أسئلتهم اليومية، وهمومهم الشخصية، وتطلعاتهم الإنسانية. و ينتمي كتاب «19» إلى ذلك النوع من الأعمال التي يصعب حصرها في خانة واحدة؛ فهو ليس سيرة ذاتية بالمعنى الكلاسيكي، ولا كتاب تطوير ذات تقليدي، ولا مجرد مجموعة خواطر. بل هو مزيج ذكي ومتوازن بين التجربة الشخصية، والتأمل الإنساني، والرسائل التحفيزية غير المباشرة، حيث يقدّم الكاتب عبر 19 فصلًا محطات من حياته المهنية والإنسانية، بكل ما فيها من نجاحات، إخفاقات، أسئلة، ومراجعات صادقة. هذا الطابع الخاص كان أحد أهم أسباب تفاعل القراء في معرض القاهرة مع الكتاب، إذ وجدوا فيه نصًا لا يتعالى عليهم، ولا يدّعي الكمال، بل يضع الكاتب والقارئ في مستوى واحد، داخل حوار مفتوح حول الحياة، والاختيار، والمعنى.

ترحيب عربي واسع يفوق التوقعات

اللافت في مشاركة «19» بالمعرض، أن التفاعل لم يقتصر على جمهور بلد بعينه، بل شمل قرّاء من مختلف أنحاء الوطن العربي. قرّاء من مصر، الجزائر، المغرب العربي، الخليج، وبلدان المشرق، عبّروا عن اهتمامهم بالكتاب، وفضولهم لاكتشاف تجربة كاتب عربي شاب، يكتب بلغته الخاصة، ويعالج قضايا إنسانية مشتركة. هذا الترحيب الواسع عكس قدرة النص على تجاوز الحدود الجغرافية، وتأكيد أن القضايا التي يطرحها الكتاب – مثل الاختيار، الهوية، الفشل، النجاح، العلاقة مع الذات، وتأثير القرارات الصغيرة – هي قضايا إنسانية مشتركة، لا ترتبط بزمان أو مكان محدد. رغم أن الكاتب خليفاوي مصطفى يخوض أول تجربة له في معرض القاهرة الدولي للكتاب، إلا أن حضوره اتّسم بالثقة والوعي بأهمية هذه المحطة. فقد شكّل المعرض فرصة حقيقية للاحتكاك المباشر بالقراء، والاستماع لانطباعاتهم، وملاحظاتهم، وأسئلتهم، وهي عناصر أساسية في بناء المسار الثقافي لأي كاتب في بداياته. وقد أظهرت هذه التجربة أن الكتابة، حين تكون نابعة من تجربة حقيقية، قادرة على تعويض عامل «الخبرة الزمنية»، وأن البدايات القوية غالبًا ما تُرسم في مثل هذه اللحظات المفصلية.

رعاية كريمة من جريدة بولا

لا يمكن الحديث عن نجاح مشاركة كتاب «19» في معرض القاهرة الدولي للكتاب دون التوقف عند الدور البارز لجريدة بولا، التي تكفّلت برعاية هذه المشاركة، في خطوة تعكس إيمانها العميق بدور الصحافة في دعم الثقافة، وتشجيع صحفييها على خوض غمار التجربة الإبداعية. لقد شكّلت هذه الرعاية نموذجًا يُحتذى به في العلاقة بين المؤسسة الإعلامية والمنتج الثقافي، حيث لم تكتف الجريدة بدورها الإخباري التقليدي، بل وسّعت من رسالتها لتشمل دعم الإبداع، وتطوير مهارات الصحفيين، وفتح آفاق جديدة أمامهم في المجال الثقافي والفكري. و تؤكد تجربة خليفاوي مصطفى أن الصحفي، حين يجد المساحة والدعم، قادر على التحوّل إلى كاتب يمتلك أدوات السرد، والتحليل، والتأمل.

فكتاب «19» هو نتاج مسار مهني في الإعلام، تراكمت فيه التجارب، وتقاطعت فيه المواقف، لتتحوّل إلى مادة قابلة للكتابة والتفكير المشترك. وهنا تتجلّى أهمية مبادرات مثل تلك التي قامت بها جريدة بولا، والتي تعزز فكرة أن الصحافة ليست نقيضًا للثقافة، بل أحد روافدها الأساسية.

كما مثّل معرض القاهرة الدولي للكتاب، بالنسبة لكتاب «19»، فضاءً للاعتراف الرمزي، حيث خرج النص من نطاقه المحلي إلى فضاء عربي أوسع، وبدأ رحلة جديدة مع قرّاء لم يكن الكاتب يعرفهم، لكنهم وجدوا أنفسهم في كلماته. كما أتاح المعرض للكاتب فرصة إدراك حجم المسؤولية الملقاة على عاتقه في المراحل القادمة، سواء من حيث تطوير مشروعه الكتابي، أو تعميق تجربته الفكرية، أو الحفاظ على تلك المسافة الصادقة بينه وبين القارئ.

مصطفى خليفاوي:

«مشاركتي في معرض القاهرة محطة مفصلية ودعم بولا منح كتاب «19» بُعدًا خاصاً»

لانطباعاته، واختبار قدرة النص على العبور خارج إطاره المحلي».

وأكد خليفاوي أن النجاح الذي حققه كتاب «19» في هذه التظاهرة الثقافية يعود في جزء كبير منه إلى الدعم والرعاية التي حظي بها من طرف جريدة بولا، مشددًا على أن هذه المبادرة تعكس وعيًا مؤسساتيًا بدور الصحافة في دعم الثقافة.

وقال في هذا السياق: «دعم جريدة بولا لم يكن مجرد رعاية شكلية، بل كان إيمانًا حقيقيًا بالكتاب وبقدرة الصحفي على أن يكون فاعلًا في المشهد الثقافي، وهو ما منحني دافعًا إضافيًا لخوض هذه التجربة بثقة ومسؤولية». وختم الكاتب تصريحه بالقول: «أثمّن عاليًا هذه المبادرة، التي تؤكد أن الصحافة والثقافة مساران متكاملان، وأن الاستثمار في الصحفيين ثقافيًا وفكريًا هو استثمار في الوعي وفي المستقبل»